مجلة تراثية فصلية محكمة

المورد ٢

WWW.ATTAWEEL.COM

تصدر عن
دار الشؤون الثقافية العامة
- وزارة الثقافة والاعلام
الجمهورية العراقية

المجلد الثامن عشر
العدد الثالث
١٤١٠هـ - ١٩٨٩م

أسد الدين محمد

بانت سعاد
في
تحقيقات لشروحها

د. علي جواد الطاهر

استاذ (متقاعد) ـ جامعة بغداد

مقدمة:

كعب بن زهير ابن ابي سلمى، معروف، شاعر مخضرم، لم يقبل الاسلام اول الامر، بل عاداه، على حين قبله اخوه بُجَيْر ودخل فيه. فلما قدم رسول الله (ﷺ) المدينة منصرفه من الطائف، كتب بجير الى اخيه: «أن النبي (ﷺ) يَهُمُّ بقتل كل من يؤذيه من شعراء المشركين وأن ابن الزِبَعْرى وهبيرة بن ابي وهب قد هربا، فان كانت لك في نفسك حاجة فأقدم على رسول الله (ﷺ) فانه لا يقتل احداً جاء تائبا، وإن انت لم تفعل فانج الى نجائك من الارض». فلما أتاه كتاب بجير ضاقت به الارض واشفق على نفسه، وأرجف به من كان في حاضره، وقالوا: هو مقتول. وأبت مُزينة أن تؤويه، فقدم المدينة فنزل على رجل بينه وبين معرفة، ثم اتى رسول الله (ﷺ)، وكان النبي عليه السلام لا يعرفه، فجلس بين يديه ثم قال: يا رسول الله إن كعب بن زهير أتاك تائبا مسلما، فهل أنت قابل منه، ان انا جئتك به؟ قال: نعم. قال: فأنا ثعب. فوثب رجل من الانصار فقال: دعني اضرب عنقه. فكفه النبي عليه السلام عنه. فقال كعب يمدح النبي (ﷺ) (...) فقال:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبولُ متيّم إثرها لم يُجز مكبولُ... »

هذه هي خلاصة الحال كما وردت في «شرح ديوان كعب ابن زهير» ـ ط. دار الكتب المصرية، والشرح منسوب الى السكري، وربما كان لثعلب (تنظر مقدمة شرح الديوان ص ن)

وقد تختلف الروايات لدى التفصيلات ولكنها تتفق في الجوهر. وواضح ان كعب اسلم خوفا وحرصاً على حياته حين لم يجد بداً او محيصاً او ملجأ او مفرّاً. وكان لا بد من «بانت سعاد» ـ وهو الشاعر.

ولم ينص شارح الديوان على «البردة» وفعل فعله مؤلفون آخرون؛ فلم يرد ذكر «البردة» مثلا في «السيرة النبوية» لابن هشام (ق ٢، ص ص ٥٠٢ ـ ٥٠٣ أوفي «الاغاني» (١٧/ ٨١ ـ ٩١) مع ما هو معروف عن مؤلفه الاصبهاني من تلقطه الروايات المتعددة المتناقضة احياناً.

ومن هنا ذهب فؤاد البستاني في كتابه عن «كعب بن زهير» (ص ص ٨٤ ـ ٨٦) الى «التحفظ» قائلا: «ان صاحبي السيرة ابن اسحق وابن هشام، لا يشيران الى حادثة البردة التي يذكر المؤرخون ان النبي خلعها على كعب (...) أفهل يدفعنا هذا الاغفال الى شيء من التحفظ حيال قصة «البردة»؟...». وكان الدكتور طه حسين (ص ٣٣٦) قد وقف «موقف المتحفظ من قصة البردة» دون برهان. ولكن مؤلفين آخرين ذكروا «البردة» فقد قال محمد بن سلام في «طبقات [فحول] الشعراء» (١ / ٩٩): «... فأنشد مدحته (...) فكساه النبي (ﷺ) بُرْدة...». وقال ابن قتيبة في «الشعر والشعراء» (١ / ١٥٤ ـ ١٥٦): «... فكساه برده».

WWW.ATTAWEEL.COM

وعقد ابن رشيق ـ في العمدة ـ بابا عل « فضل الشعر » وقال (١ / ١٠ ـ ١١): « ومن فضائله أن الكذب ـ الذي اجتمع الناس عل قبحه ـ حَسَنٌ فيه، وحسبُك ما حسَّن الكذب، واغتفر له قبحه، فقد اوعد رسول الله (ﷺ) كعبَ بن زهير. . . الخ » « وانشد كعب قصيدته التي اولها:ـ

بانت سعاد فقلبي اليوم متبولُ متَيَّمٌ إثرها لم يُفْدَ مكبولُ

يقول فيها بعد تغزله وذكر شدة خوفه ووجله:

أنبئتُ أن رسول الله اوعدني
والعفو عند رسول الله مأمول
مهلاً هداك الذي اعطاك نافلة الـ
ـقرآن فيه مواعيظ وتفصيل
لا تأخُذَنّي، بأقوال الوشاة فلم
أذنبْ، ولو كثرت فيّ الاقاويل

فلم ينكر عليه النبي (ﷺ) قوله، وما كان ليوعده عل باطل، بل تجاوز عنه ووهب له بُردته. . . ».

ويعود فؤاد البستاني ليقول: « ومهما يكن من امر فان المؤرخين لم يلهجوا بهذه القصة ـ يقصد قصة البردة ـ إلاّ في القرن التاسع ـ يقصد الميلادي ـ أي بعد وفاة النبي بنحو ما ثني سنة فاخذوا يتناقلون بعضهم عن بعض (. . .) واشتهر ذلك حتى اصبحت « البردة » عَلَماً للامية، فقيل، « قصيدة البردة » أو « البردة » فقط.

وطبيعي ان تتسع كتب الادب ـ في القديم ـ لكعب بن زهير، وطبيعي ـ كذلك ـ الا يخلو ـ في العصر الحديث ـ كتاب لتاريخ الادب العربي من كعب بن زهير ولا بد من أن يقف عنده ـ خصوصا ـ الباحثون في « المخضرمين » وفي « موقف الاسلام من الشعر ». إن كعب بن زهير شاعر معدود، وهو في الاقل صاحب « بانت سعاد » بقصتها المتواترة الجوهر. واذا كان القرشي قد اختارها في « جمهرته » فجعلها في المشوبات (ص ص ٢٨٢ ـ ٢٨٧) فلم يقصِّر أهل المختارات في العصر الحديث من إثباتها في كتبهم (كلاً، أو جزءاً).

يمكن ان يرجع الحرص عل لامية كعب هذه الى منزلتها الادبية ـ في عصرها عل الاقل ـ قيمةٌ ـ لدى عدد من « النقاد » او تمثيلا ـ لدى عدد من الدارسين، ولكن الممكن كذلك أن يرجع الى ما اكتسبتها ملابساتها الدينية من شهرة و « قدسية ». وربما كان هذا الجانب أمكنَ من ذاك واشد مفعولاً وأقوى اثرا. وقد يتفرد في فترات من الزمن (كالتي سبقت العصر الحديث خصوصا).

ورأيت الدكتور زكي مبارك وقد سبق ـ وهو يتحدث عن المدائح النبوية ـ حين قال: « من أقدم ما مدح به الرسول (ﷺ) قصيدة الاعشى التي يقول في مطلعها:

الم تغتمض عيناك ليلة أرمدا
وعادك ما عاد السليم المسهدا(. . .)

ولكن هذا ليس من المدائح النبوية: أي ليس من الفن الذي ندرسه في هذا الكتاب، لان الاعشى لم يقل هذا الشعر وهو صادق النية في مدح الرسول، وإنما كانت محاولة أراد بها التقرب من نبي الاسلام، وآية ذلك أنه انصرف حين صرفته قريش، ولو كان صادقا لما تحول. . ص ١٩ ـ ٢٠ ».

« وكذلك الحال في قصيدة « بانت سعاد » التي قالها كعب ابن زهير في مدح الرسول (ﷺ)، فانها لم تنظم إلاّ في سبيل النجاة من القتل(. . .)

هذه الظروف ترينا أن كعب بن زهير لم يقل لاميته وهو مأخوذ بعاطفة دينية قوية. تسمو الى روح التصوف. إنما هي قصيدة من قصائد المديح يقولها الرجل حين يرجو أو يخاف. وليست من المدائح النبوية في شيء ـ ص ص ٢١ ـ ٢٣ » ـ وتعريف المدائح ـ عند الدكتور زكي مبارك انها « لون من التعبير عن العواطف الدينية ـ ص ١٧ ».

وألف الدكتور محمد بن سعد بن حسين كتابه في « المدائح النبوية » ـ بعد زكي مبارك وذكره وقال : « . . . قبسنا منه الاسم، وإن كنا نخالفه في بعض القضايا التي رآها في بحثه قضية مُسلمة ـ ص ٧ » ولا بد من أنه مر برأي الدكتور زكي مبارك هذا ولكننا لم نر له وقفة عنده في كتابه هذا « المدائح النبوية » او في كتابه الآخر « المعارضات في الشعر العربي ».

وإذا تركنا الملابسات والحكايات والتحليل والتعليل، يبقى الاهتمام الذي لا شك فيه، حق فيما يلمح الى المبالغة أحيانا.

جاء في « الاغاني » (٦ / ٩٢ من ط. دار الكتب) ان حماد الرواية قال، للوليد بن يزيد: « أروي سبعمائة قصيدة أول كل

منها: بانت سعاد». واثبت البستاني هذه الرواية في حاشية من كتابه عن كعب بن زهير (ص ٩٥) دون تعليق. واحسب أن عنصر المبالغة في الرواية حاصل. وان كانت مبالغة حماد لا تنفي الدليل على «سيادة» مطلع قصيدة كعب. وإلاّ فأين القصائد السبعمائة؟

لقد حُفظت القصيدة ورُويت وشُرحت مراراً وتكراراً، وعورضت وخُمست وشُطّرت... قال فؤاد البستاني (ص ص ٩٠ ـ ٩٤): «لا نغالي إذا قلنا ان ليس من قصيدة عربية نالت ما نالته قصيدة كعب من اهتمام النحويين واللغويين والمستشرقين ايضا. ولا غرابة في ذلك، والمادح من ذوي التأثير في عصره، والممدوح نبي الاسلام (....) وإذاً فليس بعجيب ان يتبارى الشراح في التعليق عليها، ويتنافس الشعراء والنظّام في معارضتها، وتشطيرها وتخميسها، حتى جاوزت آثارهم الخمسين..» وينظر كذلك كتاب الدكتور زكي مبارك ـ المدائح النبوية، وكتاب الدكتور محمد بن سعد بن حسين «المعارضات في الشعر العربي».

قال الدكتور محمد بن سعد بن حسين في كتابه «المعارضات...» (ص ص ١٦٦ ـ ١٧٤):

«لقد عارض «بانت سعاد» كثير من الشعراء، ومازالوا يتعاورونها بالمعارضة حتى عصرنا الحديث (...) فممن عارضها البوصيري، ومعارضته المسماة «ذخر المعاد في معارضة بانت سعاد» ـ ينظر ديوان البوصيري ـ وتبلغ أبياتها ٢٠٥ ومطلعها:

إلى متى انت باللذات مشغولُ وانت عن كل ما قدمت مسؤول.

ومضى يعدد الشعراء المعارضين ومطالع معارضاتهم: الحملاوي، ابن نباته المصري، أبو حيان الاندلسي، أمين الجندي، ابن ظهير القرشي، القلقشندي، شمس الدين النواجي، الباعوني الشامي، ابن مليك الحموي، عبد الغني النابلسي، يوسف النبهاني، الابيوردي، الزمخشري، عز الدين الموصلي، الفيروز آبادي.

الذين عارضوا «بانت سعاد» كثيرون، على مر الزمن وتوالي الاجيال ـ ولا بد من ان يكون مرد ذلك ـ اولا ـ الى ملابساتها الدينية، والمعارضون متدينون يتقربون بالمعارضة الى الله ورسوله، وقل فيهم ـ إن وجد ـ من دلّ هو على التذوق الادبي او دلت قصيدته (وعصره).

اما ان «بانت سعاد» اقترنت «بالبردة» فذاك، اما تسميتها بالبردة، وقصيدة البردة فربما وقع شيء منه ولكن القصيدة التي عرفت بالبردة على مر الزمن وبإجماع هي قصيدة البوصيري الميمية (تنظر في ديوانه):

أمِنْ تذكرِ جيرانٍ بذي سَلَمِ مزجتَ دمعاً جرى من مقلةٍ بدمِ

وقد بلغت (١٦٠) بيتا واقترنت بمرض البوصيري ونظمها وإنشادها النبي (ﷺ) في الحلم فألقى عليه «بردة» وشفي، فسميت ميميته «البردة» وكثر التبرك بها وتعددت معارضاتها حتى قال الدكتور محمد بن سعد بن حسين في كتابه «المعارضات...» (ج ١ ص ١٨٢): «أحصيت في بحث لي مخطوط ما ينيف على مائة معارضة للبردة وما احسبني حصرت الا القليل» وتنص خصوصاً على «بديعية» صفي الدين الحلي.

ولا غرو في ان سمى احمد شوقي ميميته في معارضة ميمية البوصيري: «نهج البردة» فلقد نهج ـ في معارضته ـ نهجها (تنظر الشوقيات):

ريمٌ على القاع بين البان والعلم
احلّ سفك دمي في الاشهر الحرم.

وعمل صوت «ام كلثوم» على نشر «نهج البردة» وإذاعتها...

وليست ميمية البوصيري من وكدنا ـ هنا ـ وإنما وقفنا عندها لبيان انها هي «البردة» لدى الدقة في الاصطلاح، وان كان من سمى «بانت سعاد» بالبردة. وفي الملاحظة ما يدعو الى التأمل والتأني والمقارنة.

ونعود الى فؤاد البستاني لمتابعة ما يذكره من احتفال الناس ببانت سعاد معارضة وتشطيراً وتخميساً... لنقف عند المهم من شروحها قال: «أما الشروح فأقدمها شرح ثعلب (....) مع شرح سائر الديوان (...) وشرح ابن دريد (...) ثم شرح التبريزي (...) وقد نشره كرنكو ـ ليبزگ سنة ١٩١١ ـ (...) الى غير ذلك من الشروح التي يطول تعدادها».

و«لبانت سعاد نحو العشرين طبعة في الشرق والغرب، منها على حدة، ومنها في مجاميع أدبية (...) كان المستشرقون السابقين الى طبعها فنشرها اولا ليّه سنة ١٧٤٨ في مدينة ليدن مع ترجمة باللاتينية...» وطبعات اخرى مع ترجمات الى اللاتينية والفرنسية والبولونية والالمانية والانكليزية والايطالية كما

ترجمت الى الفارسية والتركية.

ويذكر أن المستشرق الفرنسي باسه Rene BASSET نشر في الجزائر عام ١٩١٠ قصيدة « بانت سعاد » جمع فيها بين شرح ثعلب وشرح ابن يَلَبْخت، « ذاكراً جميع الروايات المختلفة مقدما عليها بحثا في حياة الشاعر، وترجمة فرنسوية للقصيدة » ـ البستاني ـ كعب ص ٩٣.

ولا بد من أن يعزى سبب من اسباب عناية المستشرقين بلامية كعب ما ادركوه لدى العرب من عناية بها حفظاً ورواية واستشهاداً وشرحاً. . . الخ.

ونكرر أن لعناية العرب بلامية كعب بن زهير سببا في قيمة القصيدة لديهم شعراً او تاريخا، وأسبابا في ملابساتها الدينية وما اكتسبت بهذه الحال من شهرة و « قدسية »، فهي في موضع التبرك والكرامة، وللمرء ان يرى في « بركتها » السر الذي يفوق « الفن »، او الذي لا يشترط الذوق في الحكم عليها او روايتها او شرحها. و « يجتمع » الشارحون على تبركهم بعملهم، ولا تلحظ من بدل ـ في وضوح ـ على العنصر الجمالي فيها، او من يتقدم بجهده تقديراً لقيمة فنية واقعة فيها أو من يقترب من جوهر إيمان صاحبها. وأحسب لو ان القصيدة صدرت بعيدة عن مناسبتها الدينية لما لقيت عشر ما لقيت من عناية. فالمسألة معها أولاً: مسألة دين، وثانيا مسألة نحو ولغة. . . ومعاني أبيات مفردة. ولعل اقصى ما بلغته القصيدة من « قدسية » وقع في العصر العثماني وبلغ اوائل القرن الرابع عشر الهجري. وليست الشروح ـ على كثرتها ـ بشيء كبير، وليس الشراح بذوي علم غزير او ذوق نقدي ورأى اصيل؛ وإنما هي « شروح » على اية حال: شرح المفردة، شرح معنى البيت، بيان محل الكلمات من الإعراب، وكثيراً ما نقل اللاحق عن السابق بنص حينا وبغير نص أحياناً. وقد تجمع بين اكثر من شارح مصادر واحدة. وكان الشيخ ابراهيم الباجوري من أواخر الشراح الذين نشروا شرحهم فأصاب نجاحا في حينه، وطبع نحواً من عشر مرات في مدة محدودة. وقد سماها « الاسعاد على بانت سعاد » او « حاشية الا سعاد على بانت سعاد ». قال الزركلي (١ / ٧١) ابراهيم بن محمد بن احمد الباجوري ولد سنة ١١٩٨ / ١٧٨٤ في الباجور (من قرى المنوفية، بمصر » . . . تفقد مشيخة الازهر سنة ١٢٦٣ هـ واستمر الى ان توفي بالقاهرة » سنة ١٢٧٧ / ١٨٦٠. وينظر عن الشروح مقدمة الاستاذ هلال ناجي على « شرح بانت سعاد » لعبد اللطيف بن يوسف البغدادي. ومن الشروح ما فقد، ومنها ما بقي مخطوطا.

ويمكن ان يعد ما جاء عنها في كتاب « كعب بن زهير » لفؤاد افرا البستاني شرحاً لها او افادة من الشروح.

ان قصيدة قيلت في الظروف المعروفة وكسبت منذ زمن إعدادها وانشادها مكانة دينية، وتواترت روايتها وتوالت شروحها. . . لا يمكن ان تمتد اليها يد « الانتحال ». وهذا ما عليه واقع الحال. ولكن الدكتور طه حسين الذي رفع علم « الانتحال » في مناسبة وغير مناسبة لم يمتنع من القول ـ دون برهان ـ: « . . « بانت سعاد » على ما كثر من عبث الرواة بها وإضافتهم اليها » ـ ينظر « في الادب الجاهلي » ـ ص ص ٣٦٦ ـ ٤.

واذا كان الشرّاح القدماء قد اكتفوا بشرح المفردة والبيت ـ وسار على نسقهم فؤاد افرام البستاني، فان في المحدثين، المعاصرين من ابدى رأيا في « فنها » فقال الدكتور طه حسين « . . . وهي . . مطبوعة بطابع أوس وزهير: فيها الاعتماد على الصورة المادية، وفيها الاناة والعناية الفنية الظاهرة. . . » ـ ص ٣٦٧.

ويتحفظ فؤاد افرام البستاني لدى الكلام على شاعرية كعب ويقول (ص ٩٥): « . . . لو استثنينا بعض المواد التي استخدمها الشاعر في الاعتذار الى النبي لما وجدنا في اللامية شيئا من الطرافة يستحق الذكر. . . »

وكان بطرس البستاني اكثر « كرما » منه حين حلل القصيدة وشرحها (ص ص ٢٤٠ ـ ٢٥٠) من كتابة ادباء العرب في الجاهلية وصدر الاسلام. . . » فانه وان لاحظ (ص ٢٤٩) « ان كعبا مدح الرسول باسلوب جاهلي صرف، دون ان يشير الى فرض من فروض الدين الاسلامي، او الى آية من القرآن؛ ذلك بأنه كان يجهل حقيقة الاسلام يوم نظم قصيدته، وهو لم يُسلم الاّ رهبة وفَرَقا. . » قال: « . . . ص ٢٥٠: وما اجمل التصوير على بداوة المعنى في وصفه هيبة الرسول، وما يتولى من الفزع على المثل في حضرته (. . .) ان له من البراعة والتصرف في المعاني ما يضعه في مصاف افحل الشعراء الجاهليين (. . .) ان كعباً شاعر بارع الفن، ورسام بديع التصوير، ومخترع واسع المخيلة واحد اساتذة المذهب الزهيري ».

واذا كان الدكتور محمد مهدي البصير لم يقف عند « بانت سعاد » وهو يدرس كعب بن زهير (عصر القرآن، ط ٢، ص ص ٨٣ ـ ٩٠) لان من منهجه تجنب تكرار ما وقف عنده الآخرون طويلا، فانه كان من شعر ما صح لكعب في موقف الثناء ـ ولا بد من ان تكون « بانت سعاد » في ذهنه: « . . . ان يمثل، بلا

ريب، خيالاً قويا وقريحة خصبة وفناً متقناً رفيعاً ».

قلت ان كعب بن زهير لقي عناية في الدراسة الحديثة لتاريخ الادب العربي ، وذلك طبيعي ، ويمكن استخلاص احكام على شاعريته وعلى « بانت سعاد » بالعودة الى تلك الدراسات - دون ان ينسى كتاب الدكتور زكي مبارك : المدائح النبوية .

ويمكن ان تقع هذه الاحكام بين قطبين الاول لا يرى فيها المنزلة الجمالية العالية ويعزو الاهتمام بها الى الملابسات الدينية وما صار للقصيدة من « كرامة » و « بركة » ، والثاني يرى فيها خصبا في الخيال ورفعة في الفن . وكنت الممن لو وقف الدارسون عند الجانب العاطفي - ولنقل الوجداني - منها بين الكبرياء والخوف والطمع واليأس والامل ، ولا تعدم - بعد ذلك - من يتوسط في الحكم .

نقول : هذا شأن الدارسين ، وكان المفروض ان يكون شأن الشراح ، ولكن المفروض لم يقع .

وبعد : حصل لي الوقوف على عدد من الشروح التي طبعت « محققة » اخيراً . طبع اقدمها سنة ١٩٧٤ ، وتوالت ثلاثة على الاعوام ١٩٨٠ ، ١٩٨١ ، ١٩٨٢ . وسأقف عندها في حدود ما تتطلب الحال من الوقوف . وستطول الوقفة عند آخر المطبوع منها . وها هي ذي .

(١)

شرح بانت سعاد لكمال الدين بن الانباري - الدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي . مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد ، العدد (١٨) لسنة ١٩٧٤ ، بغداد ، مطبعة المعارف ص ص ١٧٥ - ٢٤٦ وعنها مستلات - ولد المؤلف سنة ٥١٣ هـ وتوفي سنة ٥٧٧ هـ .

١ - صحيح كمال الدين بن الانباري : كمال الدين الانباري . وقد جاء في مطلع نص الشرح نفسه (ص ٢٠٢) : « قال الشيخ . . . كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الانباري . وقال المحقق (ص ١٨٦) متابعا مصادر التعريف بالشارح ، « هو ابو البركات عبد الرحمن بن أبي الوفاء - محمد - بن عبيد الله بن أبي سعيد كمال الدين الانباري . . . » وهذا هو الصحيح ، ولكنه قال : « عرف بابن الانباري » وهذا غير صحيح لانه عرف بالانباري عندما انتقل من الأنبار الى بغداد - ينظر ابن خلكان - وفيات ٣ / ١٣٩ - ١٤٠ .

وكثيرا ما تكرر ورود ابي البركات الأنباري : على ابي البركات ابن الانباري - لدى الباحثين المحدثين .

٢ - عند الدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي شروحاً لبانت سعاد وجاء (ص ١٨١) في الرقم « ١٠ - شرح الشهاب احمد بن حجر الهيثمي (٩٢٥) . . . »

والصحيح : الشهاب (اي شهاب الدين) احمد ابن حجر الهيتمي » بالتاء . والذي يذكر في وفاة الهيتمي عام ٩٧٤ هـ او ٩٧٣ هـ وليلاحظ ان « حجراً » هو جد ابيه فهو : احمد بن محمد بن علي بن حجر . . .

٣ - جاء في جريدة « بعض مصادر ومراجع الدراسة والتحقيق » ص ٢٤٦ : « فحولة الشعراء : السجستاني (٢٥٥ هـ) - ط : القاهرة »

والصحيح : فحولة الشعراء : الاصمعي ٢١٥ هـ ٢١٦ . . . - ط برواية السجستاني .

٤ - نشرها عن مخطوطة واحدة قال في وصفها : « في مكتبة الحرم المكي الشريف نسخة . . . جيدة الخط . . . كتبت سنة ٦٣١ هـ . . . تحمل [رقم] ٨٠ / ادب . . . وهذه الرسالة ضمن مجموعة من الرسائل وتقع قبلها رسالة . . . شرح السبع الطوال . . . وتلي هذه الرسالة رسالة شرح المقصور والممدود . . . وجميع هذه الرسائل لابي البركات . . . » .

مناسب لو عني الدكتور العبيدي بنشر شرح السبع الطوال . اما شرح المقصور والممدود فيخبرنا الدكتور محمود حسن زيني في مقدمته على تحقيق « قصيدة البردة . . . شرح ابي البركات . . ص ٥٦ أن الدكتور عطية عامر حققه باستكهولم ١٣٨٦ / ١٩٦٦ .

(٢)

د. محمود حسن زيني - قصيدة البردة لكعب بن زهير (رضي الله عنه) شرح ابي البركات ابن الانباري . اصدارات إدارة النشر بتهامة ، جدة ، (د . ط) ١٤٠٠ / ١٩٨٠ (دراسة وتحقيق) - ١٤٨ ص .

١ - صحيح : ابن الانباري : الانباري . . . ويصر المحقق في هامش ص ١١ على ان « ابن الانباري » هو الصحيح .

٢ - سبق وان نشر الشرح نفسه الدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي ، ببغداد ، مجلة كلية الآداب ، العدد ١٨ لسنة ١٩٧٤ . والمخطوطة واحدة هي مخطوطة « الحرم المكي الشريف » والدكتور زيني مكي ، والدكتور العبيدي عراقي انتدب للتدريس في مكة المكرمة . وكان مناسباً جداً لو اشار الدكتور زيني في مقدمته الى عمل الدكتور العبيدي ثم يذكر دوافعه الخاصة الى إعادة نشرها .

والدكتور زيني يعلم علم نشرة العبيدي وقد جاءت اشارته اليها بالرقم (٧٥) من سلسلة « فهرس مصادر البحث والتحقيق » قال (ص ١٤٤): « ٧٥ ـ مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد ١٨ بحث للدكتور رشيد العبيدي عن ابي [البركات] ابن الانباري وقصيدة بانت سعاد ».

وكان المناسب ان يكون الذكر اكثر من هذا واوضح لان عمل الدكتور العبيدي ليس بحثا عن الأنباري وقصيدة بانت سعاد فقط وانما هو بحث وتحقيق لشرح الانباري على قصيدة بانت سعاد.

وذكره مرة اخرى في هامش ص ٦٢، يقابل بتحقيق العبيدي ص ص ١٨٣ ـ ١٨٦ وذكره مرات في الهوامش لبيان ما يخالفه فيه..

٣ ـ ص ١١ «ابو البركات.. سيرته الذاتية».

الصحيح: سيرته (فقط)، لان السيرة الذاتية ترجمة لـ: Autobiographie وهي ما يكتبه المرء عن نفسه ترجمة لحياته ولم يخلف لنا الانباري تاريخاً لحياته في النسب والميلاد... الخ.

٤ ـ ص ٥٠ لدى تعداد مؤلفات ابي البركات: « ٥٣ ـ شرح السبع الطوال... وما زال هذا الكتاب مخطوطا بمكتبة اسعد افندي باسطنبول برقم ٢٨١٥... »

كان المنتظر ان يذكر الدكتور زيني نسخة مكتبة الحرم المكي التي جمعت هي ـ وغيرها ـ مع شرح بنت سعاد. قال الدكتور العبيدي (ص ١٨٣): « نسخة شرح بانت سعاد للانباري: في مكتبة الحرم المكي الشريف نسخة...، ٨٠ / ادب... ضمن مجموعة من الرسائل وتقع قبلها رسالة... الأنباري ـ المؤلف ـ شرح السبع الطوال... ».

لقد صار في يد الدكتور زيني نسختان، نرجو ان يعمل على تحقيق « شرح السبع الطوال »... وما ورد ضمن المجموعة رقم ٨٠ / ادب من مكتبة الحرم المكي.

٥ ـ ص ٦٧ « ٧ ـ شرح شهاب الدين بن احمد بن محمد بن حجر الهيثمي » الصحيح: شهاب الدين احمد بن محمد ابن حجر الهيتمي...

٦ ـ جهد الدكتور زيني ملحوظ، واحسن اذا انتفع لدى المقابلة بشرحي التبريزي وابن هشام. وقد كان التبريزي (توفي سنة ٥٠٢ هـ) سابقا على ابي البركات. وكان ابن هشام (توفي سنة ٧٦١ هـ) لا حقا له معتمداً على شرحه منتفعا به.

٧ ـ و « فهرس مصادر البحث والتحقيق » ثري لديه وان كان انسب في الرجوع الى « الشعر والشعراء » تفضيل تحقيق الشيخ احمد محمد شاكر على تحقيق دي غويه؛ وفي ديوان كعب « شرح ديوان كعب بن زهير صنعة... السكري » على « ديوان كعب بن زهير تحقيق كوالسكي » او استشارة الاثنين معا.

٨ ـ أثقل الدكتور زيني حواشي الشرح بما يحسن ـ ان لم يجب ـ تخفيفه، وخاصة ما جاء في تعريف الاعلام مثل نفطويه ومحمد بن سلام وابن الجواليقي والتبريزي.

٩ ـ كان المناسب ان ينشرها بعنوانها الأصلي « شرح بانت سعاد » دفعا لما يؤدي اليه عنوان « قصيدة البردة » من التباس ونقاش.

(٣)

شرح بانت سعاد، قصيدة الصحابي كعب بن زهير، تاليف العلامة عبد اللطيف بن يوسف البغدادي (٥٥٧ هـ ـ ٦٢٩ هـ) تحقيق هلال ناجي، الكويت، مكتبة الفلاح (د. ط) ١٤٠١ / ١٩٨١ ـ ١٧٦ ص ص.

ص ١٥: « شرح احمد بن محمد بن حجر الهيثمي (المتوفى سنة ٩٧٣ هـ)... » الصحيح: الهيتمي (بالتاء وليس بالثاء). ويكثر الخطأ المطبعي (والتصحيف) في هذه النسبة، وقد جرى الطبع بعيداً عن المحقق. ولفائدة القارىء نقول:

جاء في أعلام الزركلي عن الهيتمي (١ / ٢٣٤): « ٩٠٩ ـ ٩٧٤ هـ... مولده في محلة أبي الهيتم (من إقليم الغربية بمصر) وإليها نسبته.... له تصانيف كثيرة، منها... « الفتاوي الهيتمية ـ ط » أربع مجلدات... ».

ومن فوائد استاذنا الدكتور مصطفى جواد في كتابة « ابن » ان تكتب همزتها لدى قطع في سلسلة النسب، فالهيتمي هو: احمد بن محمد بن علي بن حجر، فاذا اختصرنا في السلسلة قلنا: احمد بن محمد ابن حجر، كان الهمزة هنا دلالة على المحذوف.

٢ ـ عدد المحقق (ص ص ٩ ـ ٢٢) « شروح القصيدة » وقال (ص ١١): « ١٠ ـ شرح عبد الله بن يوسف بن هشام الانصاري (المتوفى سنة ٧٦١ هـ) نشر... في القاهرة وبهامشه حاشية الاسعاد على بانت سعاد للامام الشيخ ابراهيم الباجوري المتوفى سنة (١٢٧٧ هـ ـ ١٨٦١ م)، في السنوات التالية: ١٢٧٣، ١٢٨٦، ١٢٩٠، ١٣٠٢، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٧، ١٣١٧، ١٣٢١، ١٣٤٥ هـ... »

أ ـ قد يفهم من قولنا « حاشية الاسعاد على بانت سعاد... » ان عمل الباجوري حاشية على شرح ابن هشام او ما اشبه ذلك. على حين لا علاقة لعمل الباجوري بعمل ابن هشام اكثر من الجمع بينهما طباعة، فقد نشر شرح ابن هشام متنا، ونشر شرح الباجوري حاشية.

ب ـ هناك طبعة غير مؤرخة، قد تكون واحدة من الطبعات التي ذكرها المحقق، كتب عليها: « الطبعة الاولى. ملتزم الطبع والنشر عبد الحميد احمد حنفي... مصر » وعلى الصفحة الاخيرة (٨٨): « مطبعة عبد الحميد احمد حنفي بمصر ».

جـ ـ من المناسب ان يذكر شرح الباجوري برقم مستقل في سياق التسلسل الزمني الذي اختاره المحقق في تعداد الشروح فيأتي ـ مثلا ـ ص ١٧ برقم ٣٢ بعد الشرواني.

د ـ كان شرح ابن هشام في مصادر الشيخ الباجوري، وقد ذكره ص ٥٢ عند شرح البيت: « ضخم مقلدها »، وص ٥٩ في البيت « يمشي القراد »، و ص ٨٣ في البيت « إن الرسول »، وص ٨٧ « يمشون.. ».

هـ ـ ومما يذكر ان الشيخ الباجوري قال في ختام شرحه « ويوجد في نسخ المتن بيتان ليسا من كلام الناظم وهما قبله ـ يقصد قبل البيت الاخير ـ وهما:

يا خير حاف بل ومتعل فالهم مجتمع والقلب مشغول
تكون للال والاصحاب قد جمعت فكلهم لي محبوب وموصول

ولم يكتب عليهما ما بايدينا من الشراح لكونهما ليسا من كلام من فاز بالفلاح وقد ختم كلامه في المبنى بما يناسب ابتداءه في المبنى. فانه قد ابتداه بذكر الفراق وضمه ـ كذا، والمعقول ان تكون: وختمه ـ بذكر الموت. ولا ارتياب في انه ليس بين الموت والفراق فرق عند ارباب الاشتياق... »

٣ ـ اقتصر المحقق على الشروح التي عملت للقصيدة خارج الديوان، ومعلوم انها شرحت حيث شرح الديوان. ولدينا « شرح ديوان كعب بن زهير صنعة الامام ابي سعيد الحسن بن الحسين بن عبيد الله السكري ـ القاهرة دار الكتب المصرية ١٣٦٩ / ١٩٥٠ » وقد اعادت الدار القومية للطباعة والنشر ـ القاهرة « نشر ومصوراً.

(٤)

شرح قصيدة كعب بن زهير في مدح سيدنا رسول الله (ﷺ) تأليف جمال الدين محمد بن هشام الانصاري (٧٠٨ ـ ٧٦١ هـ) ضبط وتحقيق ومراجعة الدكتور محمودحسن ابو ناجي. مؤسسة علوم القرآن، دمشق ـ بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م ـ ٣٥٩ ص.

١ ـ ابقى المحقق في هذه الطبعة ما يفهم أنها « الطبعة الثانية »، لشرح ابن هشام وليس المقصود انها الطبعة الثانية بتحقيق الدكتور ابو ناجي. وقد قال ص ١٠ من مقدمته: « قارنت بين هذه المخطوطة الطبعة الاولى ـ اذاً ـ ليست الطبعة التي يصفها بالأولى من تحقيق الدكتور ابو ناجي.. هذا الى انه لم يفد منها مقابلة!

والحقيقة ان شرح ابن هشام كان قد طبع قبل تحقيق الدكتور ابو ناجي، على اختلاف مع كلام ابو ناجي هذا لم يكن في عمله.

قال الاستاذ هلال ناجي في مقدمة تحقيقه لشرح عبد اللطيف بن يوسف البغدادي ص ١١: « ١٠ ـ شرح عبد الله بن يوسف بن هشام الانصاري... نشر هذا الشرح المستشرق اغناطيوس جويدي في ليبزغ سنة ١٨٧١. ونشر في القاهرة وبهامشه حاشية الاسعاد على بانت سعاد للامام الشيخ ابراهيم الباجوري المتوفى سنة (١٢٧٧ هـ ـ ١٨٦١ م)، في السنوات التالية: ١٢٧٣، ١٢٨٦، ١٢٩٠، ١٣٠٢، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٧، ١٣١٧، ١٣٢١، ١٣٤٥، ١٣٤٥ هـ. ومن طبعة ١٣٢١ هـ نسخة في خزانتي طبعت بالمطبعة الميمنية بمصر »

واطلعت على « شرح قصيدة بانت سعاد للشيخ... ابن هشام انصاري... وبهامشه حاشية الاسعاد على بانت سعاد للامام الشيخ ابراهيم الباجوري. الطبعة الاولى. ملتزم الطبع والنشر عبد الحميد احمد حنفي... »

وواضح ان الشيخ الباجوري لم يكن محققا لشرح ابن هشام

وانما كان له شرح مستقل عن غيره باسم « الإسعاد... » او « حاشية الإسعاد » طبع بهامش شرح ابن هشام.

وينظر معجم المطبوعات العربية والمعربة لسركيس

لم يدل الدكتور ابو ناجي على علم بما طبع قبله من النص الذي ينبرى لتحقيقه ولعله علم شيئا منه وما افاد او اراد ان يفيد المخطوطة ولم يفد منها. ثم انه لم يكن على علم بالنسخ وهي كثيرة، يمكن العلم بها والافادة منها: ومن ذلك:

كتاب « قصيدة البردة لكعب بن زهير شرح ابي البركات الانباري » (الذي صدر في جدة عن دار تهامة بتحقيق الدكتور محمود حسن زنقي ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م « استاذ الادب المشارك وكيل كلية الشريعة بمكة المكرمة) ص ٦٣: « . . وهناك ايضا مجموعة من الشروح محفوظة بمكتبة لاله لي باستانبول، منها: . . . شرح قصيدة بانت سعاد لابن هشام سنة ٧٦١ هـ ورقمها ٢٧٥٠، ٢٧٥٥ ومكتبة حاجي محمود افندي رقم ٣٣١٤ والمكتبة

الحميدية رقم ٥٣٦.

وفي مقدمة شرح آخر من تاليف عبد اللطيف يوسف البغدادي ٥٥٧ ـ ٦٢٩ هـ (حققه الاستاذ هلال ناجي وصدر عن مكتبة الفلاح بالكويت ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م). ص ١٢ : « . . . شرح ابراهيم بن محمد الاميوطي اللخمي المتوفى سنة ٧٩٠ هـ وهو شرح اخذه المؤلف من شرح شيخه عبد الله بن يوسف بن هشام بالاختصار والتلخيص. واهتم بقضايا النحو والاعراب ـ منه نسخة مخطوطة في الظاهرية [بدمشق] برقم ٥٤٨٢ : مختصر آخر من شرح ابن هشام الانصاري، اختصره زين الدين عبد العزيز بن محمد بن خليل. . . من نسخة مخطوطة في الظاهرية برقم ٦٤٦٤. ومخطوطة ثانية في مكتبة الحرم المكي برقم ٤٢.

وقد احال الاستاذ المحقق (هلال ناجي) الى المصدر الذي دله على المخطوطتين: الاول، فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (الشعر) ـ وضع الدكتور عزة حسن ص ٢٥٩، الثاني: المخطوطات الادبية في مكتبة الحرم المكي الشريف: د. محسن جمال الدين ـ المورد المجلد الاول، العددان الأول والثاني ص ١٧٦.

وذكر الاستاذ هلال ناجي ص ١٥ ـ ١٦: من شروح قصيدة كعب ذات العلاقة المباشرة بعمل الدكتور ابو ناجي: « حاشية على شرح ابن هشام لبانت سعاد. لعبد القادر بن عمر البغدادي صاحب الخزانة (المتوفى سنة ١٠٩٣ هـ). قال عنها صاحب كشف الظنون. اجاد فيها وافاد (واحال على كشف الظنون العمود ١٣٣٠) . ومنه نسخة مخطوطة في اربع مجلدات في دار الكتب المصرية ».

وإذا كانت النسخ المخطوطة التي ذكرها الدكتور زيني ضرورية جداً قبل الشروع بعملية التحقيق، فان النسخ المخطوطة التي ذكرها الاستاذ هلال ناجي ضرورية وتخدم في التحقيق. علما ان « قصيدة كعب بن زهير » نصاً وشرحاً طبعت اكثر من مرة، ولا بد لمحقق شرح ابن هشام ان يرجع الى المطبوع (والمخطوط كذلك) طلباً للكمال وانطلاقاً من الدقة والاخلاص. واذكر هنا ـ غير ما ذكرت ـ من اقرب ما يذكر: « شرح ديوان كعب بن زهير، صنعة الامام ابي سعيد الحسن بن الحسين بن عبيد الله السكري » الذي اصدرته دار الكتب المصرية القاهرة سنة ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م واعادت نشره مصوراً « الدار القومية للطباعة والنشر ـ الدار المصرية للتأليف والترجمة

وتقع القصيدة. . . اللامية: بانت سعاد » ص ص ٦ ـ ٢٥.

ثم إن الدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي نشر « شرح كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الانباري (ت ٥٧٧ هـ) (. . . في مجلة كلية الآداب في بغداد، العدد ١٨، سنة ١٩٧٤ (ص ١٧٥ ـ ٢٤٦). .

ـ وقد ذكر ذلك الاستاذ هلال ناجي في مقدمته على شرح عبد اللطيف البغدادي، وأشار اليه ـ بوجه من الوجوه ـ الدكتور زيني في نشرته لشرح الانباري (ص ٦٥).

ومن الشروح التي نشرت لقصيدة كعب بن زهير: شرح ثعلب، شرح التبريزي، شرح الغزولي، شرح شهاب الدين احمد بن شمس الدين عمر الهندي الدولت آبادي الزوالي الغزنوي، لطف علي ابن احمد ـ تنظر مقدمة الاستاذ هلال ناجي.

وشرط آخر مهم في « علم التحقيق » أخلت به نشرة الدكتور ابو ناجي: وصف كامل للمخطوطة. فلم يزد الدكتور ابو ناجي في ذلك على قوله (ص ١٠): « قمت بتصوير المخطوطة من دار الاسكوريال بأسبانيا بنفسي، وعدد صفحاتها خمس وسبعون صفحة من القطع المتوسط تحت رقم (٣٠٥) بعنوان « كتب شعرية ». . . » فما خطها؟ وكم سطراً في الصفحة؟ ومتى نسخت؟ ومن خطها؟ لا احسب ان الصفحات الاربع التي صورها واثبت صورتها في المقدمة تغني عن الاجابة.

وترد في الصفحة الاخيرة المصورة (والمطبوعة)؛ « . . . وهذا آخر ما لخصته في شرح هذه القصيدة المباركة، وقد تطفلت بشرحها على كرم الممدوح (ﷺ) . . . » فما معنى: « آخر ما لخصته في شرح هذه القصيدة. . . »؟ يحتمل جداً ان يرد القول الى ابن هشام نفسه على معنى من قصده الى شرح الملخص (الموجز)، ولكنه يمكن ان يثير شكا بأن هذا الذي ينشره، الدكتور ابو ناجي تلخيص لشرح ابن هشام، ويمكن ان يدفع الى هذا الشك امران:

الاول ما رأيناه من وجود اختصار لشرح ابن هشام. وهنا تبرز ضرورة الرجوع الى هذا المختصر للبت في شرح كلمة. « لخصته. . . ».

الثاني ما ذكره الدكتور ابو ناجي نفسه (ص ١٠) اذ نص على ان شرح ابن هشام الذي ينشر اليوم سبق ان نشر بتحقيق الشيخ ابراهيم الباجوري: « وقد وجدت ان طبعة الباجوري فيها زيادات لم تكن موجودة في المخطوط الاصلية. . . »

وهذا امر إن لم يدفعنا لاثارة الشك في اصالة مخطوطة الاسكوريال، فإن يدلنا على اختلاف وقع في الشرح او نسخ الشرح، فكان في المخطوطات المختلفة نقصان مرة وزيادة مرة، وهذا يزيد من وجوب جمع اكبر عدد ممكن من مخطوطات شرح ابن هشام.

وذكر الدكتور ابو ناجي عمل الباجوري مرة اخرى (ص ٩): « ان هذه القصيدة قد طبعت الطبعة الاولى بالمطبعة الازهرية المصرية عام ١٣١٧ هـ وحققها المرحوم الشيخ ابراهيم الباجوري ولم ينتفع الدكتور أبو ناجي بهذه الطبعة لدى المقابلة، ولو اراد الانتفاع لوجد خيراً، ومن ذلك على الصفحات ١٦٧، ١٦٩، ٢١٧، ٢٣٣، ٢٥٥ (= ٤٢، ٤٣، ٥٨، ٦٣، ٧٠) على سبيل المثال. . . »

ومفروض بالذي يتصدى للتحقيق ان يلم بتاريخ المخطوطة التي يزمع تحقيقها، واقرب ما يهمه من هذا التاريخ، تاريخ الطبع. ولقد كتب الدكتور ابو ناجي جازماً « ان هذه القصيدة قد طبعت الطبعة الأولى. . . عام١٣١٧. . . الباجوري » وهذا يوهم القارىء بأن شرح ابن هشام لم يطبع الا مرة واحدة (سنة ١٣١٧)، وهذه هي الطبعة الاولى تليها طبعة الدكتور ابو ناجي وقد وسمها « بالطبعة الثانية ١٤٠٢ / ١٩٨٢ م ». وليس هذا بصحيح. وإذا استعنا بمقدمة الاستاذ هلال ناجي - وهي اقرب مرجع - رأينا فيها (ص ص ١١ - ١٢): « شرح عبد الله بن يوسف بن هشام الانصاري (المتوفى سنة ٧٦١ هـ) نشر هذا الشرح المستشرق اغناطيوس جويدي في ليبزغ سنة ١٨٧١. ونشر في القاهرة وبهامشة حاشية الاسعاد على بانت سعاد للامام الشيخ ابراهيم الباجوري المتوفى سنة (١٢٧٧ هـ - ١٨٦١ م) في السنوات التالية ١٢٧٣، ١٢٨٦، ١٢٩٠، ١٣٠٢، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٧، ١٣١٧، ١٣٢١، ١٣٤٥ هـ.

ومن طبعة ١٣٢١ هـ نسخة في خزانتي طبعت بالمطبعة الميمنية بمصر وقد ذكر في آخر المتن ما نصه: قال المصنف - تغمده الله بالرحمة والرضوان واسكنه اعلى فراديس الجنان - وافق الفراغ من ذلك الثامن عشر من رجب الفرد سنة ست وخمسين وسبعمائة وحسبنا الله ونعم الوكيل ».

وتدلنا الاسطر التي نقلناها - هنا - عن الاستاذ هلال ناجي على ما يسوغ الشك الذي اثارته فينا عبارة « لخصته » الواردة في آخر مخطوطة الاسكوريال التي اعتمد عليها وحدها الدكتور ابو ناجي، ولم ترد فيها هذه السطور.

واخبرنا، قبل الاستاذ هلال ناجي، سركيس، اليان سركيس في « معجم المطبوعات العربية والمعربة »، ص ٢٧٥ « وطبع شرح بانت سعاد لابن هشام في ليبسك، باعتناء الاستاذ اغناطوس جويدي سنة ١٨٧١ ص ٢٣ و ٣٤ » وقد يدلنا عدد الصفحات (٢٣٠) هنا على ان هذا الشرح اوسع من شرح المخطوطة التي نشرها الدكتور ابو ناجي. وينظر سركيس ص ٢٧٥ لطبعة الباجوري (المطـ. الخيرية ١٣٠٤، ١٣٠٧) وتنظر ص ٦٢٨، ص ٧٢٤.

ولو قابل المحقق جيداً مخطوطة على المطبوعة وعليها « إسعاد » الباجوري لانتفع بتاريخ مهم فقد جاء في ختامها: قول المصنف « وافق الفراغ من ذلك الثامن عشر من رجب الفرد سنة ست وخمسين وسبعمائة. . . »

ومسألة اخرى تثار بصدد « علم التحقيق » : هي المقدمة التي يكتبها المحقق. من العلماء بالتحقيق من يكتفي من « المحقق » بصفحات محدودة تقتصر على دراسة المخطوطة وبيان اهميتها وقيمتها. . . الخ ومنهم من يطلب دراسة عملية للمؤلف. وقد اختار الدكتور ابوناجي الأ يدرس صاحب القصيدة (كعبا)، وشارحها (ابن هشام)وله عذرفي ذلك بشهرة الشاعر والشارح ووجود دراسات عنهما، ولكن الذي اخل به عمله مارأيناهما من تقصير في جمع النسخ المخطوطة، والاستئناس الجاد بالنسخ المطبوعة، وما رأيناه كذلك من الايجاز المبالغ فيه لدى وصف المخطوطة، ثم ما نذكره هنا من إغفالة دراسة مزايا تحقيق ابن هشام في نفسه ثم قياساً الى شروح اخرى ذكرنا عدداً منها، وهي مطبوعة، ومنها، مثل شرح الانباري، ما نقل عنه ابن هشام وهذه فرصة مهمة في علم التحقيق يتيحها الانباري لاتقان تحقيق شرح ابن هشام. ويزيد تلخيص شرح ابن هشام او شرحه او عمل الحاشية عليه. . . الشرح المحقق اهمية و « اصالة ». وقد رأينا من لخصه، ومن فصله، ولكننا لم نر لدى الدكتور ابو ناجي وقفة عند ذاك.

ومسألة اخرى مهمة لدى التحقيق تنبثق من قول الدكتور ابو ناجي ص١٠ : « وقد وجدت ان طبعة الباجوري فيها زيادات لم تكن موجودة في المخطوطة الاصلية وقد اتخذت هذه المخطوطة هي الاصل » واقل ما يعني هذا أن نثبت الزيادات الواردة في نسخة الباجوري في مكانها من الشرح مع الاشارة اليها. وهذا ما لم يفعله الدكتور ابو ناجي، فاننا نستعرض هوامش مطبوعته كلها فلا نرى اثراً لما نقل من نسخة الباجوري

اي مايدل عليه! فضلا عن غياب الاشارة الى مايمكن ان يأخذه من حاشية الباجوري؟!

ونأتي الى « الهوامش » وهي جل ما عمله الدكتور ابو ناجي بعدنسخ المخطوطة، فإذا هي جلّها مما لا يشترط دائما علم التحقيق او انها مما لا يستدعي جهداً خاصا، وقوامها:

١ ـ تعريف بالشعراء، واغلب الشعراء من الشهرة بحيث يستغنون عن التعريف: الاعشى، امرؤ القيس، الحطيئة، الخنساء، طرفة، المتنبي، المعري، عمر بن ابي ربيعة، لبيد، النابغة... الخ ابو تمام.. الفرزدق، جرير، عنترة، حسان، ابو نواس، زهير.

وتعريف بأعلام لا يزيدهم التعريف تعريفا: ابو الاسود الدؤلي، الاصمعي، ابو بكر، معاوية، علي، الشافعي، الزمخشري، يزيد بن معاوية، النعمان بن المنذر، الحريري، المبرد، الخليل، عمرو بن العاص، ... الخ

على حين ترك « اعلاماً » كثيرة دون تعريف.

واكتفى لدى كثيرين آخرين (اكثر) بأن القائل غيرمعروف، ولم اعثر على ترجمته، والقائل مجهول ـ مجهول لمن؟ ويرد أحيانا في المتن: « قول كثير »، فيضع رقما على كثير، ويكتب في الحاشية، « القائل هو كثير عزة » (ص ١٤٨، ١٧٤)، وتنظر ص ١٤٩، ١٩٥، ٢٥٤.

وفي هؤلاء الذين لم يعثر على ترجمتهم « عوف بن محلم »، وكان بامكانه ان يرجع الى الزركلي في الاعلام ٥ / ٩٦

وفي الأبيات المجهولة القائل:

المرء يأمل ان يعيش وطول عيش قد يضره

ولو رجع الى الشعر والشعراء » مثلا لوجد القائل: النابغة، والبيت (ص ٢٣٣)

ولو كنت في قوم عدي لست منهم
فكل ما علفت من خبيث وطيب

ولو رجع الى « لسان العرب » (عدا) لوقف على القائل وعلى مايدفع التصحيف البيت (ص ٢٣٨) تنفي... » فهو للفرزدق. وهكذا في أبيات أخرى!

٢ ـ استخراج « الآيات » وهو عمل ميسور جداً لاي يملك اية طبعة للمعجم المفهرس لآيات القرآن الكريم ـ ان كانت ضرورة لاستخراجها بعد ضبط شكلها ووضعها بين قوسين مزهرين، وضرورة اخرى لوضعها في الهامش...

٣ ـ يرد في المتن « قول الحماسي » كما في الصفحة ٨١ فيشرحه الدكتور ابوناجي في هامش الصفحة بـ « القائل الحماسي » فقط. فماذا زاد في التعريف؟ ولم هذا التبذير في الحواشي؟

ويرد الحماسي في المتن (ص ١٢٠): « الا ترى الى قول الحماسي:

اذن لقام بنصري معشر حسنٌ عند الحفيظة إن ذولوثة لانا »

فيكتب الدكتور ابو ناجي في الحاشية: القائل الحماسي (سبقت ترجمته).. » ترى اين سبقت؟ أعلى الصفحة ٨١؟

وتتكرر الحال (القائل هو الحماسي ـ سبقت ترجمته) ص ١٢٦، ١٧٦، ٢٠٦، ٢٥٠. وقد يرد « الحماسي » في المتن فلا ينبه اليه كما في ص ١٦٠.

والمسألة ابسط كثيراً كثيرا مما يراها الدكتور ابو ناجي، ولنعلم ـ سلفا ـ ان « الحماسيين » الذين يرد ذكرهم بهذه اللفظة ـ ويستشهد ابن هشام بأبيات لهم ليسوا شخصاً (شاعراً) واحداً وإنما هم شعراء مختلفون. ولكن الدكتور ابو ناجي لايعلم ان الحماسي، لفظ صار مصطلحاً معروفاً يدل على الشاعر الذي ذكره او ذكر شعره ابو تمام في حماسته. وما هي إلا ان نرجع الى حماسة ابي تمام لنرى الشاعر المشار اليه بالحماسي، ونرى شعره خاصة. اما اذا رجعنا الى شروح حماسة ابي تمام، مثل شرح المرزوقي وشرح التبريزي فاننا سنجد ما يزيد التعريف تعريفاً مما عمله الاستاذ عبد السلام هارون في شرح المرزوقي اوعمله الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد محي الدين في شرح التبريزي.

وقد وقع الدكتور ابو ناجي فيما وقع فيه رغم ذكره « حماسة ابي تمام (ص ٣٠٤) في « مصادر التحقيق »! بل رغم قول ابن هشام نفسه (ص ٨١): « قال التبريزي في شرح الحماسة... وكلام المرزوقي... »! قال ذلك وهو يروى « قول الحماسي:

يجزون من ظلم اهل الظلم مغفرة ومن إساءة أهل السوء إحسانا »

ولو رجع الى حماسة ابي تمام او اي شرح من شروحها لوجد البيت في اول مقطوعة يذكرها ابو تمام في كتابه، وعلى صدرها.

« قال بعض شعراء بلعنبر، واسمه قريط بن أنيف ».

وجاء على ص ٦٤ من شرح ابن هشام: « وقول الحماسي:

أشاب الصغير وأفنى الكبير كرُّ الغداة ومر العشيّ »

فقال الدكتور ابو ناجي في الحاشية: « القائل الحماسي اوالصلتان العبدي: اذا كان القائل الحماسي، فان الشاعر غير

معروف. اما الصلتان العبدي فهو. . . » ولو رجع الدكتور ابو ناجي الى الحماسة وشروحها لوجد هنا هو الصلتان العبدي، والحماسي نسبة الى من ورد له شعر في حماسة ابي تمام ـ كما هو معروف ذائع شائع.

٤ ـ ويتكرر في المتن: الانباري (ابوبكر)، والانباري (ابو البركات)، والتبريزي (ـ والمقصود به يحيى بن علي الخطيب التبريزي) وعبد اللطيف بن يوسف البغدادي. وتكرار التبريزي كثير، ومثله تكرار عبد اللطيف وترد هذه الاسماء بما يدل صراحة على ان ابن هشام يذكرهم على انهم اصحاب شروح لقصيدة كعب بن (زهير) وانه وقف على هذه الشروح وارتضى منها ما ارتضى وناقش ما ناقش ورد ما رد. . .

اما كان الاولى بالدكتور ابو ناجي وهو يحقق شرح ابن هشام على قصيدة كعب زهير بن زهير ان يسأل نفسه عن هؤلاء من ؟ واين؟ ليتفع بما ورد عندهم لدى المعارضة اولفك الغامض وربما دلوه على نقص في المخطوطة التي بين يديه. وقد علمنا ان شرح التبريزي مطبوع (يقول الاستاذ هلال ناجي ص ١٠: نشره المستشرق المرحوم فريتز كرنكو محققا في مجلة جمعية المستشرقين الالمان سنة ١٩١١ وكانت تصدر في لايبزغ. ثم اعادت نشره دار الكتاب الجديد في بيروت سنة ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٧١ م بتحقيق كرنكو وتقديم الدكتور صلاح الدين المنجد ».

كما راينا نشر شرح ابي البركات الانباري بجانة لمحقق حجازي من مكة، وببغداد لمحقق عراقي انتدب للتدريس في مكة، ونشر شرح عبد اللطيف بن يوسف البغدادي لمحقق عراقي من بغداد.

وبعد فالملاحظات ـ اذا اردنا ان ندخل في الجزئيات ـ غير قليلة، ونكتفي ـ هنا ـ بالقول ان الدكتور ابو ناجي اورد « مصادر التحقيق » ص ص ٣٠١ ـ ٣٠٦ مجردة اي بأسمائها فقط والخلاصة من اسماء مؤلفيها، والشرط ان يذكر اسماء المحققين ومكان الطبع وتاريخه. ومن عجب ان يذكر « لنزهة الالباء » طبعة علي يوسف على حين طبع محققا بعد ذلك ثلاثة تحقيقات علمية.

ثم إنه لم يدلنا اين استفاد من هذه المصادر؟ وكيف؟

وبعد، فان الدكتور محمود حسن ابو ناجي يعلن هنا ان له « تحت الطبع » « تحقيق »:

(١) المصون ـ لابي هلال العسكري

(٢) كتاب طيف الخيال للشريف الرضي (كذا)

(٣) دمعة الشاكي ولوعة الباكي للصفدي

(٤) رحلة الاسراء والمعراج ـ جمال الدين الطهراي!! وفي هذه الكتب ماهو مطبوع محققا وما طبع باكثر من تحقيق.

كم ارجو ـ مخلصاً ـ ان يتريث الدكتور ابو ناجي وان يستعين ويتأمل ويقبل الملاحظة والنصيحة لئلا يتكرر ما وقع له في تحقيقه لشرح ابن هشام على « بانت سعاد ». او ما وقع له في تحقيقه كتاب النواجي: « الشفاء في بديع الاكتفاء » ـ تنظر الملاحظات عليه في مجلة العرب، الرياض، ج ١، ٢ من سنتها الـ ٢٢ رجب ـ شعبان ١٤٠٧ / آذار ونيسان ١٩٨٧. ص ص ٣٣ ـ ٣٥ كلما أعاد باحث النظر في تحقيق الدكتور ابو ناجي وجد خطأ جديداً. . . وهكذا! وفي الخطأ ما يرجع الى الشكل علماً او منهجاً حيث يشكل مالا حاجة به الى الشكل و يهمل ما حقه الشكل وليس نقصي الخطأ العلمي اساساً في ملاحظاتنا. ولو كان ذاك لاتصلت الصفحات بالصفحات؛ ولكننا نعني ـ أولا ـ بالمهم من خطوط منهج التحقيق الذي صار علما، لا بد للمرء من « التسلح » به قبل خوض « معمعته »!

اهم المصادر والمراجع

(مرتبة على حسب حروف المعجم لاسماء الكتب. ووردت الاحالة عليها في المتن)

ادباء العرب في الجاهلية وصدر الاسلام. تأليف بطرس البستاني، ط ٤، بيروت، مكتبة صادر ١٩٤٤.

الاسعاد = حاشية الاسعاد

الأعلام ـ خير الدين الزركلي. بيروت، دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٧٩.

الاغاني ـ ابو الفرج علي بن الحسين الاصبهاني. الجزء السابع عشر، تحقيق علي محمد البجاوي. اعداد لجنة نشر كتاب الاغاني بإشراف محمد ابو الفضل ابراهيم. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ـ دار الكتاب العربي ١٣٨٩ / ١٩٧٠.

جمهرة اشعار العرب ـ لابي زيد محمد بن ابي الخطاب القرشي. بيروت، دار صادر ـ دار بيروت ١٣٨٣ / ١٩٦٣.

حاشية الاسعاد على بانت سعاد ـ الامام الشيخ ابراهيم الباجوري. القاهرة ١٣٢١.

ديوان كعب بن زهير = شرح ديوان كعب. . .

السيرة النبوية ـ ابو محمد عبد الملك بن هشام. تحـ. مصطفى السقا وإبراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي. القاهرة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي واولاده، ط ٢، ١٣٧٥ / ١٩٥٥.

شرح بانت سعاد لكمال الدين بن الانباري. تحقيق الدكتور رشيد عبد الرحمن

العيدي. مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد. العدد (١٨) لسنة ١٩٧٤، بغداد، مطبعة المعارف ص ص ١٧٥ - ٢٦٤ - وعنها مستلات بنظر في أدناه: قصيدة البردة...
شرح بانت سعاد = قصيدة البردة / حاشية اسعاد
شرح بانت سعاد، قصيدة الصحابي كعب بن زهير. تأليف العلامة عبد اللطيف بن يوسف البغدادي، تحقيق هلال ناجي. الكويت، مكتبة الفلاح، د. ط، ١٤٠١ / ١٩٨١ شرح
شرح ديوان كعب بن زهير. تصوير ط. القاهرة، دار الكتب المصرية ١٣٦٩ / ١٩٥٠ - / ١ السكري (؟).
شرح قصيدة كعب بن زهير في مدح سيدنا رسول الله (ﷺ) تأليف جمال الدين محمد بن هشام الانصاري. ضبط وتحقيق ومراجعة الدكتور محمود حسن ابو ناجي. دمشق - بيروت، مؤسسة علوم القرآن، ط٢، ١٤٠٢ / ١٩٨٢.
الشعر والشعراء - ابن قتيبة. تحقيق وشرح احمد محمد شاكر. القاهرة، دار المعارف، ط٢، ١٣٨٦ / ١٩٦٧.
طبقات [فحول] الشعراء - تأليف محمد بن سلام الجمحي. قراه وشرحه محمود محمد شاكر. القاهرة، ط ٢، مطبعة المدني ١٩٧٤.
عصر القرآن - محمد مهدي البصير. الطبعة الثانية. بغداد، مطبعة المعاني ١٩٥٥.
العمدة - ابن رشيق القيرواني. تحـ. محمد محي الدين الدين عبد الحميد. القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى ١٣٥٣ / ١٩٣٤.
في الادب الجاهلي - طه حسين. القاهرة، دار المعارف ١٩٥٢ - مقدمة الطبعة الاولى ١٩٢٧.
قصيدة البردة - لكعب بن زهير. شرح ابي البركات ابن الانباري. جدة، إصدارات تهامة ١٤٠٠ / ١٩٨٠ (دراسة وتحقيق - د. محمود حسن زناتي). ينظر - في اعلاه - شرح بانت سعاد لمحـ. د. العيدي.
كتاب الاغاني = الاغاني
كعب بن زهير، بانت سعاد ومقطعات شتى - فؤاد افرام البستاني. بيروت المطبعة الكاثوليكية - ١٩٣٣ (الروائع - ٣٢) وتكرر طبعها.
المدائح النبوية - زكي مبارك. القاهرة دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، د. ت (تاريخ الاهداء ١٣٥٤ / ١٩٣٥).
المدائح النبوية بين المعتدلين والغلاة - الدكتور محمد بن سعد بن حسين الرياض، مطابع الفرزدق التجارية ١٤٠٦ / ١٩٨٦.
المعارضات في الشعر العربي - الدكتور محمد بن سعد بن حسين. الرياض. مطابع الفرزدق التجارية، توزيع مكتبة دار العلوم، منشورات النادي الادبي في الرياض - كتاب الشهر ١٤٠٠ / ١٩٨٠.
الوسيط في الادب العربي - الشيخ احمد الاسكندري والشيخ مصطفى عناني. القاهرة، ط ٦ (تاريخ مقدمة ط ١ سنة ١٣٣٥ / ١٩١٦)
وفيات الاعيان - ابن خلكان، تحـ. الدكتور إحسان عباس. بيروت، دار الثقافة ١٩٦٨ - ١٩٧١ - ٢.

صدر عن دار الشؤون الثقافية العامة